منهج الامام الشعراوي في الرد على شبهات المستشرقين في العقيدة ـــ نماذج مختارة من خلال كتابه: "خواطر الشعراوي لتفسير القرآن العظيم".

م.د. عثمان عطية اسماعيل

ديوان الوقف السني/ دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

الملخص: تضمنت الدراسة بيان نماذج من شبهات المستشرقين في العقيدة وسبل الرد عليها – عند الإمام الشعراوي من خلال تفسيره، ولعل رأس ما نستبين منه عمدها ، التأكيد على منهجه في التعامل مع هؤلاء المستشرقين، فكان منهجه في الرد على شبهات المستشرقين موفقا في لغته وصيغ الأدلة ومضامينها، فضلا عن مراعاة المتداول في ميدان العقل والمعرفة وطرق البحث العلمي الحديثة في مجالات الدين واصول العقيدة ، كما يلاحظ استحضاره للشبه المثارة التي أثارها المستشرقون في مباحث العقيدة ونقده لها بقصد استئصالها من قلوب وعقول المتلقي، فكان منهج الشعراوي في الرد على المستشرقين هو حائط صد محاولات الطمس والمسخ التي تعرضت لها العقيدة الاسلامية، وتطعيما للمتلقي ضد الشبه المتوقعة، فكانت استجابته للتحديات قوية مؤثرة تستلهم فيض القرآن الكريم، لهذا كان منهجه في الرد على المستشرقين متميزا بالجدية والوضح والواقعية.**الكلمات المفتاحية** : نماذج، الشعراوي ،شبهات ، المستشرقين ، خواطر.

Abstract: The study included a statement of Al-Shaarawy's approach in responding to orientalists' suspicions in the light of his interpretation. The field of reason, knowledge and modern scientific research methods in the fields of religion and the foundations of faith, as it is noted that he evokes the similarities raised by orientalists in the investigations of faith and his criticism of it with the intention of eradicating it from the hearts and minds of the recipient. Islam, and vaccinating the recipient against the expected similarities, so his response to the challenges was strong and influential, inspired by the abundance of the Holy Qur'an, so his approach to responding to Orientalists was distinguished by its novelty and seriousness

مقدمة

الحمد لله الذي أكرمنا بفضله ونعمه وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله الأطهار وصحبه العِظام، ومن تتبع آثارهم بإحسان إلى يوم الدين.فبعد توكلنا على الله تعالى تم الشروع في كتابة هذا البحث الموسوم: منهج الامام الشعراوي ورده على شبهات المستشرقين في العقيدة نماذج مختارة من خلال كتابه: "خواطر الشعراوي لتفسير القرآن العظيم". الذي يتناول بيان منهج الشيخ محمد متولي الشعراوي في الرد على شبهات أعداء الإسلام الذين راحوا يبثون الشبهات حول كلام الله تعالى ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولأن الله تعالى تعهد بحفظ كتابه وشريعته السمحة بقوله : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر : ٩] فقد جعل من عباده من يدافع عن هذا الدين القويم وعقائده وتشريعاته في كل زمان ومكان .لذا فإن من اهم أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو تسليط الضوء على أثر المستشرقين وبيان خطرهم في الحياة المعاصرة حيث يمثل المستشرقون هذا التيار الذي يهاجم الإسلام في عقائده وأصوله بأسلحة مختلفة ومتنوعة ، وفي هذا السياق يتموقع بحثنا الذي أخترناه، ويظهر الإمام محمد متولي الشعراوي – رحمه الله – كمدافع عن أصول الإسلام .فلهذا اخترنا أن تكون دراستنا مسلطة الضوء على هذا الموضوع نظراً لأهميته الكبيرة ؛ إذ يدخل في مجال الدراسات العقدية ومقارنة الأديان، فالحياة الواقعية تشهد حملة شرسة على أصول الاسلام ومصادره وعقائده، فتحاول أن تشكك في القرآن وتشكك في السنة . وليس هذا العمل جديداً بل قديماً يتجدد مع تجدد الخوف من الإسلام ونهضته، وتكمن أهمية الموضوع في بيان وعي الإمام الشعراوي لهذا التحدي وهذا الخطر وطريقته في مواجهته ومعالجته باعتباره مفكراً اسلامياً، وكذلك في إبراز خطر الدراسات الاستشراقية على العقيدة والفكر والفرد والمجتمع المسلم بسبب ما تنشره من شبهات وتحريفات وإغراءات .

مشكلة البحث : جاء هذا البحث للإجابة عن الأسئلة الآتية :من هم المستشرقون ؟ وما أهدافهم ؟ وكيف رد عليهم الإمام الشعراوي رحمه الله تعالى في ضوء تفسيره ؟ وما منهجه وتجاهه في التعامل مع هؤلاء المستشرقين من خلال تفسيره ؟

حدود البحث : سيتناول البحث منهج الشعراوي في التعامل مع المستشرقين من خلال عرضه ونقده للشبهات المثارة حول مباحث العقيدة (الإلهيات ،والنبوات ،والسمعيات) في ضوء تفسيره.

أهداف البحث : يهدف هذا البحث إلى :

١. معرفة قدر العلماء وما كان لهم من أثر، من ذلك آراؤهم وآثارهم العقدية في الرد على المستشرقين.
٢. زيادة تأكيد صحة مباحث العقيدة في القرآن الكريم.
٣. القيام بواجب الانتصار لعقيدة المسلمين بالذب عنها.
٤. المناقشة العلمية الموضوعية للشبهات التي يثيرها المستشرقون حول مباحث العقيدة في القرآن الكريم

منهج البحث: استخدم الباحثان المنهج الاستقرائي؛ لتتبع منهج الشعراوي في التعامل مع المستشرقين من خلال عرضه ونقده للشبهات المثارة حول مباحث العقيدة (الإلهيات ،والنبوات ،والسمعيات) في ضوء تفسيره؛ للخروج بنتائج موضوعية .

خطة البحث : اقتضت هيكلية الدراسة تقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة .

تمهيد : عن حياة الإمام الشعراوي .

المبحث الأول : تعريف المفاهيم والمصطلحات المتعلقة بعنوان البحث لغة واصطلاحا (المنهج ، شبهات ،الاستشراق)، كما تم التطرق إلى بيان خطر الاستشراق على الاسلام .

المبحث الثاني : شبهات المستشرقين في باب الإلهيات ومنهج الشيخ في الرد عليها .

المبحث الثالث: شبهات المستشرقين في باب النبوات ومنهج الشيخ في الرد عليها .

المبحث الرابع : شبهات المستشرقين في باب السمعيات ومنهج الشيخ في الرد عليها .

خاتمة : تضمنت أهم النتائج والتوصيات التي توصل لها الباحثان.

وقائمة بالمراجع والمصادر .

التمهيد مولد الإمام الشعراوي وحياته العلمية

ولد الشيخ محمد متولي الشعراوي في ١٥ أبريل عام ١٩١١م بقرية دقادوس مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية بمصر، ونشأ في أسرة متوسطة الحال يغلب عليها طابع التدين وسط بيئة محافظة وبأجواء ريفية بسيطة تتسم بالصلاح والتقوى وعادة ما تكون حياة القرية خالية من مظاهر الاسفاف الباذل والمغريات وسُبُل الانحراف، فهذه البيئة العائلية والريفية كان لها الدور الكبير في صناعة وبناء شخصية الشيخ الشعراوي، فحفظ القرآن الكريم في سن العشرة من عمره. في عام ١٩٢٢م، حيث كانت القرية في ذلك الوقت تضم أربعة كتاتيب: كتّاب الشيخ أحمد وكتّاب الشيخ مصطفى العلم وكتّاب الشيخ عبد اللطيف وكتّاب الشيخ عبد المجيد باشا الذي حفظ الشيخ الشعراوي على يديه القرآن الكريم، التحق بعدها بمعهد الزقازيق الابتدائي الأزهري، ثم دخل المعهد الثانوي، ثم الإعدادي، وكان من شيوخه في المعهد الشيخ مصطفى الصاوي والشيخ أحمد مكي شيخ معهد الزقازيق، كان للشيخ الشعراوي اهتمام كبير بالشعر والأدب حيث كان يحفظ الكثير من الأشعار، وصدر له ديوان من الشعر عام ١٩٣٦م تحت عنوان "بنات الأفكار" ونبغ معه في تلك الفترة في معهد الزقازيق عدد كبير من الشعراء المبدعين منهم الشاعر طاهر أبو فاشا، والدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة الأسبق، والدكتور أحمد عبد المجيد الغزالي، ومحمد رجب البيومي وغيرهم وبعد أن انهى الشيخ الشعراوي دراسته بمعهد الزقازيق انتقل الى القاهرة ليلتحق بكلية اللغة جامعة الأزهر وحصل منها على الشهادة العالمية عام ١٩٤٠م، ثم بعدها على إجازة التدريس عام ١٩٤٣م.(محمد فوزي، د.ت، ص٩-١١)،(مقدم محمد ، ٢٠١٣م، ص١٦-١٨).وفي هذه الأثناء تعرض الشيخ الشعراوي للسجن بسبب تزعمه مع مجموعة من زملائه في الأزهر الشريف لإحدى الحركات التي عرفت تاريخياً وسياسياً بحركة الشيخ المراغي، حيث كانت تهدف وقتها لإخراج الشيخ الظواهري من مشيخة الأزهر وذلك لمؤازرته لحكومة اسماعيل صدقي باشا التي كانت توصف بالظلم والاستبداد وتحكم بالحديد والنار، وقد أودع السجن لمدة ٣٠ يوماً بتهمة العيب بالذات الملكية حيث نشر بياناً في الصحف واعتُبِر هجوماً على الملك من الازهر الشريف، وبالفعل استطاعت هذه الحركة من إخراج الظواهري من مشيخة الأزهر وتولي الشيخ المراغي للمشيخة.(محمد فوزي، د.ت، ص١٥-١٦).بعد تخرج الشيخ الشعراوي من كلية اللغة وحصوله على إجازة التدريس عين في المعهد الديني بطنطا، ثم انتقل بعد ذلك إلى المعهد الديني بالزقازيق ثم المعهد الديني بالإسكندرية وبعد فترة انتقل الشيخ الشعراوي إلى العمل في السعودية عام ١٩٥٠ ليعمل أستاذاً للشريعة في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، اضطر الشيخ الشعراوي أن يدرِّس مادة العقائد رغم تخصصه أصلاً في اللغة وهذا في حد ذاته يشكل صعوبة كبيرة إلا أن الشيخ الشعراوي استطاع أن يثبت تفوقه في تدريس هذه المادة لدرجة كبيرة لاقت استحسان وتقدير الجميع. وفي عام ١٩٦٣ حدث الخلاف بين الرئيس جمال عبد الناصر وبين الملك سعود، وعلى أثر ذلك منع الرئيس جمال عبد الناصر الشيخ الشعراوي من العودة ثانية إلى السعودية، وعين في القاهرة مديراً لمكتب شيخ الأزهر الشريف الشيخ حسن مأمون، ثم سافر بعد ذلك الشيخ الشعراوي إلى الجزائر رئيساً لبعثة الأزهر هناك ومكث بالجزائر حوالي سبع سنوات قضاها في التدريس وأثناء وجوده في الجزائر حدثت نكسة يونيو ١٩٦٧، وقد تألم كثيراً لأقسى الهزائم العسكرية التي منيت بها مصر والأمة العربية، وحين عاد الشيخ الشعراوي إلى القاهرة عين مديراً لأوقاف محافظة الغربية فترة، ثم وكيلاً للدعوة والفكر، ثم وكيلاً للأزهر ثم عاد ثانية إلى السعودية، حيث قام بالتدريس في جامعة الملك عبد العزيز بكلية الشريعة بمكة المكرمة، ثم عاد بعدها الى مصر وعين وكيل وزارة لشؤون الأزهر الثقافية في يوليو ١٩٧٥م، وفي نوفمبر ١٩٧٦م اختاره السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء آنذاك ضمن أعضاء وزارته، وأسند إلى الشيخ الشعراوي وزارة الأوقاف وشئون الأزهر، وظل الشعراوي في الوزارة حتى أكتوبر عام ١٩٧٨م، ثم اعتذر واستقال عن الوزارة التي شكلها د. مصطفى خليل لأسباب صحية، وقد اختير

الشيخ الشعراوي عضواً في مجمع البحوث الإسلامية، وعضواً في مجلس الشورى عام ١٩٨٠م، ثم انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية (مجمع الخالدين) في ٣٠ ديسمبر عام ١٩٨٦م، واختارته رابطة العالم الإسلامي عضواً بالمؤتمر التأسيسي للإعجاز العلمي في القرآن الكريم، بالإضافة الى العديد من المناصب والألقاب والمهام التي تسنمها لا مجال لذكرها هنا.(محمد فوزي، د.ت، ص١١-١٣).وقد كان للشيخ الشعراوي أثر كبير في نفوس الناس بمختلف طبقات المجتمع الصغير والكبير الرجال والنساء المسلمون وغير المسلمين، ومما لا شك فيه فهو يعتبر أحد المجددين وعدول الإسلام المتقين الذين ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، لقد عاصر الإمام الجليل حقبة تاريخية تموج بالأحداث الجسام وكان ممكن أن يتوقف في أي مرحلة من مراحل الطريق ولكن العناية الإلهية التي أحاطته وحفظته من الانبهار بالأضواء والحضارة التي جرفت الكثيرين من معاصريه وادخرته لأن يكون ناشراً للثقافة القرآنية المجيدة وباعثاً للصحوة الإسلامية الراشدة التي تجمع ولا تفرق وتبني ولا تهدم وترشد الحائر وتهدي الضال.(محمد زايد، ١٩٩٨م، ص١٩). ومن هنا فقد اهتدى على يديه الكثير من الفنانين والفنانات ومنهم الفنانة "**شادية**" المطربة الكبيرة جلست أمام الشيخ الشعراوي ليرشدها ويوجهها ويأخذ بيدها إلى طريق الإيمان، وكذلك الفنانة "**هالة الصافي**" فقد وقفت أمام الشيخ لتعلن توبتها واعتزالها الرقص نهائياً وليصبح اسمها الحاجة "سهير عابدين" وتتفرغ للعبادة وتنشئ مدرسة خاصة لتعليم الجيل تعاليم الإسلام الحنيف، وكذلك الفنانة "**هناء ثروت**" وزوجها الفنان "**محمد العربي**" وغيرهم، وأسلم على يديه بعض من مسيحيي مصر يقول الشيخ دخل علي شابين مسيحيين شقيقين في العقد الثالث من عمرهما وقالا لقد قرأنا كتابك "العلاج بالقرآن" واقتنعنا بكلامك ونريد الدخول في الإسلام لكن هناك عائق وهو أن عائلتهم تعارضهم بشدة إلى درجة أنهم قاموا بإتلاف هويتهم وطردهم من المنزل واغلاق ابواب الرزق أمامهم وتحريض الاقرباء والاصدقاء عليهم، فطلبوا من الشيخ مساعدتهم في استخراج هويات بدل تالف وبالفعل قام الشيخ بمساعدتهم من خلال أحد ضباط الشرطة وبعد ما اعلنا إسلامهما أمام ضابط الشرطة قاما بتغيير اسميهما من أزوريس وروفائيل إلى مصطفى أحمد شعبان وعلي أحمد شعبان، حيث أخذ كل منهما اسم ضابط الشرطة الذي ساعدهم وكان اسمه أحمد شعبان، وهذا ما حدث للاعبة كرة السلة المسيحية المصرية الشهيرة أشهر لاعبة كرة سلة في مصر "**كارولين**" التي أعلنت إسلامها متأثرة بإحدى البرامج التلفزيونية للشيخ الشعراوي وكذلك بعد قراءتها لكتابه "معجزة القرآن". (محمد فوزي، د.ت، ص٢٥-٣٠).للشيخ الشعراوي نتاج علمي غزير فقد ترك للأمة تراثاً علمياً كبيراً في مختلف العلوم الإسلامية كالتفسير وعلوم القرآن في الحديث الشريف والفقه والعقيدة والسيرة والتاريخ ومنها كتب تعالج قضايا اجتماعية مختلفة ومن كتبه وأهمها: تفسير القرآن الكريم المعروف بخواطر الشعراوي وهو أشهر كتبه بل ويكاد يكون الوحيد الذي راجعه وأذن بطباعته، أما باقي الكتب فهي عبارة عن اشرطة ومحاضرات ألقاها الشيخ في دروس وبرامج قامت دور النشر بتفريغها وطباعتها ونشرها ومنها: معجزة القرآن، العلاج بالقرآن، أسماء الله الحسنى، قصص الأنبياء، كتاب الجهاد في القرآن، وكذلك كتابه الفقه الإسلامي الميسر وأدلته الشرعية، فقه المرأة المسلمة، جامع البيان في العبادات والاحكام، والأحاديث القدسية، قصص الصحابة والصالحين، الهجرة النبوية، الاسراء والمعراج، الاسلام عقيدة ومنهج، الأدلة المادية على وجود الله، كتاب الغيب، كتاب الخير والشر، علامات القيامة الصغرى، البعث والميزان والجزاء، وأيضاً كتاب الشيطان والإنسان،(مقدم محمد، ٢٠١٣م، ص٢٨-٣١). إلى غير ذلك من كتبه التي طبعتها مختلف دور النشر ولا مجال لحصرها هنا في هذا البحث الموضوعي الذي نسلط الضوء فيه على جانب من كتابه في تفسير القرآن خواطر الشعراوي.توفي الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى فجر يوم الأربعاء الثاني والعشرين من صفر عام ١٤١٩هـ الموافق السابع عشر من شهر حزيران/ يونيو ١٩٩٨م، عن عمر ناهز (٨٧ عام)، (مقدم محمد، ٢٠١٣م، ص٤٢). رحمه الله رحمة واسعة وأحسن مثواه.

المبحث الأول تعريفات ومفاهيم وبيان مخاطر الاستشراق

أولاً: تعريفات ومفاهيم

قبل الولوج إلى ثنايا البحث نود أن نقف عند تعريفات ومفاهيم بعض المفردات التي ورد ذكرها في عنوان البحث لكي يتضح للقارئ مفهوم هذه المصطلحات ومعانيها ودلالاتها من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

١. المِنْهَاج في اللغة: النهج هو الشيء البين الواضح يقال طَرِيق نهج وَأمر نهج، والمنهاج هو الطَّرِيق الْوَاضِح البين أَوَ الْمُسْتَقِيم يُقَال هَذَا نهجي لَا أحيد عَنهُ أي هذا طريقي الواضح الذي لا أحيد عنه، ولذلك جاء في التَّنْزِيل قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾المائدة:٤٨] أي طريقاً واضحاً مستقيماً للنجاة، وأيضاً يأتي المنهاج بمعنى الخطة المرسومة، وَمِنْه منهاج الدراسة ومنهاج التَّعْلِيم وَنَحْوهمَا. (مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، د.ت، ج٢/٩٥٧).

والمنهج في الاصطلاح: هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة. (عبدالرحمن البدوي، ١٩٧٧م، ص٥)

٢. الشبهات في اللغة: جاء في لسان العرب: المُشْتَبِهاتُ مِنَ الأُمور هي المُشْكِلاتُ، وَتَقُولُ: شَبَّهْتَ عليَّ يَا فلانُ إِذَا خَلَّطَ عَلَيْكَ، واشْتَبَه الأَمْرُ إِذَا اخْتَلَطَ، وجمعُ الشُّبْهةِ شُبَهٌ، وَهُوَ اسْمٌ مِنَ الاشْتِباهِ. (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١٣/٥٠٥).وجاء في المعجم الوسيط: الشُّبْهَة بمعنى الالتباس وهو في الشَّرْع مَا الْتبس أمره فَلَا يدرى أحلال هُوَ أم حرَام وَحقّ هُوَ أم بَاطِل. (مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، د.ت، ج١/٤٧١).

٣. الاستشراق في اللغة: الشرق والمشرق جمع أشراق، قال الشاعر كثير عزة:إذا ضربوا يوما بها الآل، زينوا ... مساند أشراق بها ومغاربا والتَّشْرِيقُ: الأخذ في ناحية المشرق. يقال: شتان بين مشرق ومغرب، وشرقوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا ناحية الشرق وكل ما طلع من المشرق فقد شَرَقَ، ويُستعمل في الشمس والقمر والنجوم. (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ج١٠/١٧٤). والتَّشْرِيقُ: يأتي أيضاً بمعنى الجَمالُ، وإِشْراقُ الوَجْهِ. (الفيروز آبادي، ٢٠٠٥م، ج١/٨٩٧)وفي الحديث: "إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الغَائِطَ، فَلاَ يَسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ وَلاَ يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ، شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا" (البخاري، ١٤٢٢هـ، رقم: ١٤٤، ج١/٤١)، أي اتجهوا ناحية المشرق أو المغرب. والاستشراق في الاصطلاح: هو علم الشرق أو العالم الشرقي، والمستشرق: هو كل عالم أو باحث غربي يشتغل بدراسة الشرق كله اقصاه واوسطه وأدناه من ناحية اللغة والآداب والتاريخ والجغرافية والعقائد والتشريعات وأيضاً الحضارة بشكل عام. (محمود حمدي زقزوق، د.ت، ص١٨).

ثانياً: مخاطر الاستشراق

تعتبر الدراسات الاستشراقية من أخطر الهجمات التي تعرضت لها الحضارة الإسلامية والتراث والتاريخ والثقافة والمجتمعات الاسلامية بصورة عامة وهذا أمر طبيعي لأن الصراع الفكري هو جزء مهم بل وأساسي من الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي.لذلك فقد ترك المستشرقون تراثاً كبيراً من الدراسات والبحوث حول الشرق في آدابه وعقائده ولغاته وثقافته وتاريخه وحضارته إلى غير ذلك، وقد كان لها الأثر الكبير في الثقافة والانطباعات والقناعات لدى المثقفين والكتاب والباحثين المسلمين، فهناك الكثير منهم تلقفها واعتبرها مصدر الهام له والبعض الآخر رفضها جملة وتفصيلاً، يقول الدكتور محمود زقزوق في كتابه "الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري" الاستشراق قضية تتناقض حولها الآراء في عالمنا الإسلامي، فهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أقصى حد، وهناك من يرفضه جملة وتفصيلاً ويلعن كل من يشتغل به باعتباره عدواً لدوداً للإسلام والمسلمين، والواقع الذي لا يمكن انكاره هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجاباً أو سلباً أردنا أو لم نرد"، وبطبيعة الحال هناك من يحاول التوسط بين هذا وذاك فيقبل منه ويرفض، ومنهم الدكتور زقزوق نفسه كما أشار إلى ذلك آنفاً، وذكر في موضع آخر قوله: " الاستشراق في حقيقة الأمر يشتمل على عناصر سلبية وأخرى إيجابية، وعلينا أن نعترف للمستشرقين بما لديهم من إيجابيات، ومن ناحية أخرى علينا بل ومن واجبنا أن ننبه إلى ما وقعوا فيه من أخطاء" (محمود حمدي زقزوق، د.ت، ص١٢).

ففي جانب العلوم الإسلامية كان للاستشراق أثر كبير في تغيير قناعات الكثير من المفكرين والباحثين والكتاب من بني جلدتنا إلى درجة تبنيهم لكل أو جل ما ذهب إليه المستشرقون من أفكار ومطاعن وخصوصاً في الجانب الثوابت التي مضى عليها المسلمون سلفاً وخلفاً، ومن ذلك ما تبناه الدكتور محمد شحرور في كتابه "الكتاب والقرآن" في مسألة تأويل القرآن حيث ذهب إلى القول بأنه "لا بدَّ من أن يكون القرآن قابلًا للتأويل، وتأويلُه يجب أن يكون متحركًا وفق الأرضية العلمية لأمة ما في عصر ما، على الرغم من ثبات صيغته، وفي هذا يكمن إعجاز القرآن للناس جميعًا" وهذه الدعوة في الحقيقة تفتح الباب واسعاً أمام كل من هب ودب ليقول في القرآن ما يشاء ويفسره كيف ما يشاء حسب الأهواء والأمزجة والمصالح وهذا أمر خطير للغاية كونه يهدم ثوابت الشريعة، ومن ذلك أيضاً تبنيه تقسيم الوحي إلى كتب، فالقرآن هو غير الكتاب والحق هو غير الكتاب والذكر والفرقان هذه كل منها يختلف في مدلوله عن الآخر، وهناك السبع المثاني والقرآن العظيم والقرآن الحكيم والقرآن المجيد إلى غير ذلك، فعندما يقول تحت قوله:{ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ}الحجر:١]، أن القرآن شيء والكتاب شيء آخر وعطفهما للتغاير، أو أن يكون القرآن جزء من الكتاب وعطفهما من باب عطف الخاص على العام ولفت انتباه السامع إلى أهمية الخاص" ثم يضيف في موضع آخر من كتابه " عندما يأتي القرآن معرفاً فيعني القرآن نفسه وهو الذي أنزل في رمضان وهو القرآن الحكيم والقرآن العظيم نفسه، وعندما يأتي منكراً مجرد من أل فيعني جزءاً منه فليست عبارة (وقرآن مجيد) بالضرورة هي (القرآن العظيم) ولكنها من جنسه وتعني جزءِ منه لا كله" ونقول هذا يعني بالضرورة على وفق ما تقدم أن بعض الكتاب عظيم وحكيم وبعضه ليس عظيم ولا حكيم وهذا لا شك قول باطل، ثم نجده يشير إلى شيء من هذا عند تفريقه بين الكتاب والحق تحت قوله تعالى:{ المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ}الرعد:١]، قال: " نلاحظ أنه عطف الحق على الكتاب وهذا يعني أن الحق شيء والكتاب شيء آخر وأن

الحق هو جزء من الكتاب وليس كل الكتاب" (محمد شحرور، د.ت، ص٥٦-٧٣)، وهذا فهم سقيم وساذج بل هو قمّة في الباطل والافتراء والتجني على كتاب الله عندما يدعي أن بعض الكتاب حق وبعض ليس بحق. وهذا التخبط والتجني على كتاب الله تعالى يأتي اعتمادًا على نفيه للترادف في اللغة العربية، وتفسير النصوص الشرعية والحوادث التاريخية على غير ما هي عليه، وصولًا إلى إخراج الكثير من الأحكام من دائرة التشريع لأنها لم ترد في القرآن، الذي هو جزء من الكتاب وبهذا ذهب شحرور إلى إثباته معاني جديدة في القرآن الكريم واخراج أحكام ثابتة منه وفق هذه نظرية المشبوهة والمشوهة التي تبناها. ويذهب الكاتب المصري خليل عبد الكريم إلى أبعدَ من ذلك حين يشكّك في صحة القرآن من خلال تمييزه بين القرآن المتلو والقرآن المكتوب في عهد عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فيقول: "هذه المفارقة الصارخة تدعونا أو تضطرنا للتمييز بين القرآن المقروء أو المتلوّ الذي حفظته صدور الرجال يتفجر نضارة وبكارة أبوابه مفتوحة ومداخله ميسرة ومنافذه موسعة ومآتيه سهلة، وبين القرآن المكتوب الذي دُوّن إبّان عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الأموي، أما القرآن المدوَّن أو المكتوب فتغلّفه القداسة، تحوطه أسيجة منيعة وأسوار عالية يقف عليها حجّاب وسدنة مرازبة يحولون بين أي إنسان والاقتراب منه، وكنتيجة حتمية له فإن التفاسير الحديثة ليست للقرآن المجيد إنما هي للتفاسير التراثية السلفية القديمة التي مرت عليها قرون". (خليل عبدالكريم، ٢٠٠٦م، ص١٤٢- ١٤٣) بل ويذهب إلى الطعن بمصادر التشريع وأصالتها والقول بأن الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وسلم قد أخذ عن العرب (الجاهلية) الكثير من الأحكام والقواعد والأنظمة وشرعها ويقول يمكننا أن نؤكد ونحن على ثقة شديدة بأن الإسلام ورث عن العرب الشيء الوفير بل والبالغ الوفرة في مختلف الجوانب الدينية والتعبدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية... إلخ. (خليل عبدالكريم، ١٩٩٠م، ص١١-١٢) وهو هنا يريد القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخذ هذه التعاليم، عن العرب وأعمل فيها عقله وفكره حتى بدت وكأنها شيء جديد.وعلى نفس نسج من سبقه نجد أن محمد أركون يحاول التشكيك بنص القرآن وخصوصاً عملية جمع القرآن الكريم بقوله: "أن عملية تكوين الوثيقة الرسمية للنصوص القرآنية (المصحف) من التحولات الأساسية التي أدت إلى ترسيخ النتائج الأكثر دواماً والأكثر أهمية، وهنا نجد أنفسنا أمام المشكلة الأضخم للكلام الشفهي الذي أصبح نصاً، وذلك أن الخطاب القرآني سواء كان نبوياً أو سردياً أو تشريعياً أو مَثَلياً...إلخ هو في نهاية المطاف قول يعبر عن ويثير فعلاً – ثم يضيف بأن هذا العمل أي جمع القرآن الكريم قد اختزل الجمل القرآنية والتعابير الحية وأرجعها إلى مجرد معاني قاموسية أو إلى استطرادات باطنية ثم تشكيلات نسيجية شكلية. (محمد أركون، ١٩٩٦م، ص١٤٦)، فهو هنا يشكك بعملية جمع القرآن الكريم ومصداقية الصحابة، ينعت كلام الله تعالى بالخطاب القرآني ثم يحاول خلطه بالحديث النبوي بقوله (نبوياً أو سردياً... إلخ) ولا يعتبر أبداً أن النص القرآني مقدس ولا محفوظ من التحريف بل هو مجرد معاني قاموسية وتشكيلات نسيجية وقابل للخطأ والاتهام والنقد، وهذا في الحقيقة عين ما يذهب إليه المستشرقون والرهبان في مطاعنهم حول القرآن الكريم.من هنا يتضح لنا كيف كان للمستشرقين الأثر الواضح في ثقافة وانطباعات وتصورات وقناعات لكثير من الكتاب والباحثين والمثقفين المسلمين حول التراث والحضارة والثوابت الإسلامية.

المبحث الثاني شبهات المستشرقين في باب الإلهيات ومنهج الشيخ في الرد عليها

جرت عادة العلماء من متكلمي أهل السنة على تقسيم مباحث العقيدة إلى ثلاثة أقسام هي الإلهيات والنبوات والسمعيات، وخصصوا المبحث الأول منها للحديث عن أدلة وجود الله تعالى ما يليق به من التنزيهات وما يجب له من صفات الكمال ونعوت الجمال وتعدد الأسماء الحسنى ..الخ (سعد الدين التفتازاني، ١٩٩٨م، ج٥/ ٥ وما بعدها).حديثنا عن منهج الشيخ الشعراوي في رد شبهات المستشرقين في مبحث الالهيات كسمة بارزة في منهج الشيخ الشعراوي، ولا يعني بحال أن البداية في هذا العرض كانت صفرية وبدون استناد معرفي ،وإنما القصد منه بيان تميز الرجل في هذا الباب ، انطلاقا مما قرره السابقون مع وجود فوارق في طريقة العرض والمصطلحات الموظفة، وهو ما منح موضوع الإلهيات نكهة خاصة، تجعل المتعود على القراءة له إذا قرأ له فقرة في الموضوع مستلة من تفسيره حكم أنها له وإن لم يشر ناقلها إلى ذلك، ولم يتوقف جهده عند تقرير العقائد بل جمع إليها الفحص والتمحيص لجهود المستشرقين في دراسات القرآن الكريم، فقد كان ناقدا بارعا لبعض مناهج المستشرقين الذين أوغلوا في الطعن والتشكيك في مسائل الإلهيات وفيما يأتي بعض معالم هذا الجهد العلمي المميز في الرد على المستشرقين ، وقد اعتنى فيه بجملة من المناحي ، كونت في جملتها خصوصية مهمة في عرض موضوع العقائد:

أولا : تفنيد شبهة تعدد الخالقين.

يعرض الشعراوي نص هذه الشبهة ، عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ [الفرقان: ٣] فيقول : وهذه من الآيات التي وقف عندها المستشرقون وقالوا: إن فيها شبهة تناقض؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال:﴿فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخالقين﴾ [المؤمنون: ١٤] فأثبت أن معه آخرين لهم صفة الخَلْق، بدليل أنه جمعهم معه، وهو

سبحانه أحسنهم. وفي موضع آخر يقول سبحانه: ﴿وَرَسُولاً إلى بني إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أني أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطين كَهَيْئَةِ الطير فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ الله﴾ [آل عمران: ٤٩] .وهنا رد على المستشرقين الذين ادعوا هذه الشبهة بقوله : وللردِّ على هؤلاء نقول: تعالوْا أولاً نفهم معنى الخَلْق، الخَلْق: إيجاد لمعدوم، كما مثَّلنا سابقاً بصناعة كوب الزجاج من صَهْر بعض المواد، فالكوب كان معدوماً وهو أوجده، لكن من شيء موجود، كما أن الكوب يجمد على حالته، لكن الحق سبحانه وتعالى يُوجِد من معدوم: معدوماً من معدوم، ويُوجِده على هيئة فيها حياة ونمو وتكاثر من ذاته، كما قال سبحانه: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] . والذين يصنعون الآن الورد الصناعي، ويحاولون جاهدين مُضَاهاة الورد الطبيعي الذي خلقه، فيضعون عليه رائحة الورد ليتوفر لها الشكل والرائحة، ثم ترى الوردة الصناعية زاهية لا تذبُل، لكن العظمة في الوردة الطبيعية أنها تذبل؛ لأن ذُبولها يدلُّ على أن بها حياة.لذلك سمَّى اللهُ الإنسانَ خالقاً، فأنصفه واحترم إيجاده للمعدوم، لكنه سبحانه أحسنُ الخالقين، ووَجْه الحُسْن أن الله تعالى خلق من لا شيء، وأنت خلقتَ من موجود، الله خلق خَلْقاً فيه حياة ونمو وتكاثر، وأنت خلقتَ شيئاً جامداً على حالته الأولى، ومع ذلك أنصفك ربك.ففي قوله تعالى:﴿أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطين كَهَيْئَةِ الطير﴾[آل عمران: ٤٩] معلوم أنه في مقدور كل إنسان أنْ يُصوِّر من الطين طَيْراً؟ ويُصمِّمه على شكله، لكن أيُقال له: إنه خلق بهذا التصوير طَيْراً؟ وهل العظمة في تصويره على هيئة الطير؟ العظمة في أنْ تبعثَ فيه الحياة، وهذه لا تكون إلا من عند الله؛ لذلك قال عيسى عليه السلام: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ الله﴾ [آل عمران: ٤٩] .فإنْ سلَّمْنا أنهم يخلقون شيئاً فهم في ذات الوقت مخلوقون، والأدْهَى من هذا أن الذي يتخذونه إلهاً لا يستطيع حتى أن يحمي نفسه أو يقيمها، إنْ أطاحتْ به الريح، وإنْ كُسِر ذراع الإله أخذوه ليُرمموه، الإله في يد العامل ليصلحه!! شيء عجيب وعقليات حمقاء. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م، ١٧/ ١٠٣٦٢-١٠٣٦٣).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. أن الشعراوي قد استخدم هذه الأدلة الدامغة في تفنيد دعوى المستشرقين بوجود خالقين سوى الله تعالى، وإن ذلك لدليل على سعة علمه ، وعمق معرفته ، وقوة حجته .

٢.أمتاز منهج الشعراوي في رده على المستشرقين بضرب الأمثلة ، فاستدل على معنى الخلق بضرب الأمثلة ليقرب المعلومة إلى القارئ ، والمتعلم وغير المتعلم. كما واعتمد في هذا الرد على إثارة فكر الإنسان للتعرف على خالق جميع الموجودات.

٣. ناقش الإمام الشعراوي الشبهة التي أثارها المستشرقون حول هذه الآية بالأدلة النقلية والعقلية والمنطق –وهذا دأبه في كل مناقشاته– كما سيأتي .

٤. يلاحظ استخدام المستشرقون لمنهج الطعن والتشكيك في الثوابت القطعية سيما في الآيات التي تتعلق بأمور العقيدة ،والمبالغة في إثارة الشكوك حولها، بغية زلزلة العقيدة الإسلامية وفتح باب الشك والريبة ،حيث أن لديهم يقين في أن الشك في نص يوجب الشك في نصر آخر.

ثانيا : تفنيد وصف الله تعالى بالظلم .كشف الأمام الشعراوي موطن هذه الشبهة عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢]فقال وهنا وقفة لخصوم الإسلام من المستشرقين، هم يقولون: الله يقول في قرآنهم ﴿وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾، وكلمة «ظلام» هي مبالغة في كلمة «ظالم» ، ففيه «ظالم» وفيه «ظلاّم» ، و «الظَّلاّم» هو الذي يظلم ظلماً قوياً ومتكرراً؛ ف «ظلاّم» هي صيغة مبالغة في «ظالم» (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م، ٣/ ١٩١٣).وقال الشعراوي في معرض الرد على هذه الشبهة : وحين نرد عليهم لا بد لنا أن نعرف أن صيغ المبالغة كثيرة، فاللغويون يعرفون أنها: فعّال، فعيل، مفعال، فعول، فَعِل، فظلاَّم مثلها مثل قولنا: «أكَّال» ، ومثل قولنا: «قتَّال» بدلاً من أن نقول: «قاتل» فالقاتل يكون قد ارتكب جريمة القتل مرة واحدة، لكن ال «قتَّال» هو من فعل الجريمة مرات كثيرة وصار القتل حرفته. ومثل ذلك «ناهب» ، ويقال لمن صار النهب حرفته: «نَهَّاب» أي أنه إن نهب ينهب كثيراً، ويعدد النهب في الناس. وهذه تسمى صيغة المبالغة. وصيغة المبالغة إن وردت في الإثبات أي في الأمر الموجب فهي تثبت الأقل، فعندما يقال: «فلان ظلاّم» فالثابت أنه ظالم أيضاً، لأننا ما دمنا قد أثبتنا المبالغة فإننا نثبت الأقل. ومثل ذلك نقول: «فلان علاّم» أو «فلان علاّمة» فمعنى ذلك أن فلاناً هذا عالم. ولكن إذا قلنا: «فلان عالم» فلا يثبت ذلك أنه «علاّمة». فصيغة المبالغة ليس معناها «اسم فاعل» فحسب، إنها أيضاً اسم فاعل مبالغ فيه، لأن الحدث يأتي منه قوياً، أو لأن الحدث متكرر منه ومتعدد. فإذا ما أثبتنا صفة المبالغة فمن باب أولى تثبت صفة غير المبالغة فإذا ما قال واحد: «فلان أكّال» فإنه يثبت لنا أنه آكل، هذا في الإثبات.والأمر يختلف في النفي. إننا إذا نفينا صفة المبالغة، فلا يستلزم نفي الصفة الأصلية ، فإن قلت :" فلان ليس علامة" فقد يكون عالما ، وهكذا نفهم لأن الإثبات يختلف عن النفي، فإذا أثبت صيغة المبالغة تثبت الصفة التي ليس فيها مبالغة من باب أولى. أما إذا نفيت صفة المبالغة فلا يستلزم ذلك نفي الصفة الأقل. والتذليل للآية التي نحن بصددها الآن هو ﴿وَأَنَّ الله

لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ . يفهم المستشرقون من هذا القول أنه مجرد نفي للمبالغة في الظلم لكنها لم تنف عنه أنه ظالم ولم يفهم المستشرقون لماذا تكون المبالغة هنا: إن الحق قد قال: إنه ليس بظلّام للعبيد، ولم يقل إنه ليس بظلام للعبد. ومعنى ذلك أنه ليس بظلام للعبيد من أول آدم إلى أن تقوم الساعة، فلو ظلم كل هؤلاء – والعياذ بالله – لقال إنه ظلام، حتى ولو ظلم كل واحد أيسر ظلم. لأن الظلم تكرر وذلك بتكرر من ظُلِم وهم العبيد، فإن أريد تكثير الحديث فليفطن الغبي منهم إلى أن الله قال: ﴿وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ولم يقل إنه ليس بظلام للعبد. وإذا كان الظالم لا بد أن يكون أقوى من المظلوم، أذن فكل ظلم يتم تكييفه بقوة الظالم. فلو كان الله قد أباح لنفسه أن يظلم فلن يكون ظالماً؛ لأن عظم قوته لن يجعله ظالماً بل ظَلَّاما.فإن أراد الحدث فيكون ظلاماً، وإن أردنا تكراراً للحدث فيكون ظلاماً. وحين يحاول بعض المستشرقين أن يستدركوا على قول الحق: ﴿وَأَنَّ الله لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فهذا الاستدراك يدل على عجز في فهم مرامي الألفاظ في اللغة أو أنّ هؤلاء يعلمون مرامي الألفاظ ويحاولون غش الناس الذين لا يملكون رصيداً لغوياً يفهمون به مرامي الألفاظ. ولكن الله سبحانه وتعالى يُسخر لكتابه من ينبه إلى إظهار إعجازه في آياته. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م، ٣/ ١٩١٣-١٩١٥).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. وظف الإمام الشعراوي المعاني اللغوية في دفع الشبهة والاشكالات التي دارت في فهم هذا النص القرآني وغيره من النصوص القرآنية الأخرى .

٢. أكد الإمام الشعراوي على أنه إذا نفي الظلم الكثير انتفى الظلم القليل ضرورة، لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم، فإذا ترك الظلم الكثير مع زيادة نفعه في حق من يجوز عليه النفع والضرر وكان للظلم القليل المنفعة أترك. (محمد عبد الخالق عضيمة، د.ت، ج٧/٥).

٣. أكد الإمام الشعراوي على أن خطأ بعض المستشرقين في الاستدراك على بعض النصوص القرآنية ، يرجع لعدم درايتهم الكاملة بأسرار اللغة العربية، وتعجلهم في إصدار الحكم أويمكن القول أيضا أن هؤلاء فاهمون ولكنهم بالألفاظ يتلاعبون ويحاولون أن يدخلوا على الناس بهذه الفرية لكي يصدقها الناشئة، والناشئة ليس عندها بصر بأسلوب اللغة .

٤. كان جريئا في رده على شبهة المستشرقين في هذه الآية ومن ذلك قوله " فليتفطن الغبي منهم" وجرأته هذه جعلته يرد على شبهتهم السخيفة ردا حاسما، وبالأدلة العلمية.

ثالثا : تفنيد ما قالوه عن أفعال الله تعالى .

عرض الشعراوي موطن هذه الشبهة بقوله : وقد حاول بعض المستشرقين من أعداء الإسلام أن ينفذوا بسمومهم إلى عقول المسلمين بالتساؤل عن عدم ترتيب الأفعال على نسق حدوثها في بعض من آيات القرآن، فقال قائل منهم: كيف يقول الحق – سبحانه –:﴿أتى أَمْرُ الله فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وتعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[النحل: ١]. وهذا خبر عن يوم القيامة فكيف يأتي به الله على صيغة الماضي، ثم يقول بعد ذلك: ﴿فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ واستعجال الشيء لا يكون إلاّ إذا لم يكن قد حدث، فكأن في الكلام تناقضاً، ذلك لأنه يقول: أتى، ويقول بعد ذلك: فلا تستعجلوه؟.ثم فند الإمام الشعراوي هذه الشبهة بقوله : ونقول: إن الذي يتكلم هو الحق سبحانه وتعالى وليس إنساناً مثلك محكوماً بأزمانه. بل المتكلم هو صاحب كل الأزمان وخالقها. وعندما يقول سبحانه: ﴿أتى أَمْرُ الله﴾ فمعنى ذلك أن أمر الله آتٍ لا محالة، لأنه لا قدرة تخرج مراده على ألاّ يكون. وأي فعل من الحق سبحانه وتعالى إنما يتجرد عن ملابسات الزمان وعن ملابسات المكان، فإن كنا نقرأ على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الله غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [النساء: ١٠٠] . فليس معنى ذلك أن مغفرة الله ورحمته قد مضى زمانها وانقضى وقتها. ولكن لنقل: كان الله غفوراً رحيماً ولا يزال غفوراً رحيماً، فسبحانه وتعالى غفور ورحيم قبل أن يوجد من يغفر له ويرحمه، ومن باب أولى يكون غفورا رحيما بعد أن يوجد من يستحق المغفرة والرحمة. وسبحانه منزه عن أن تعتريه الأحداث فيتغير؛ لأن الزمن مخلوق من الله، فلا تقل متى أو أين؛ لأنهما به وجدا. والحق يأتي بالماضي لأنه متحقق الوقوع، ليثبت حدوث أمر لم يحدث بعد، ذلك لأن الله إذا قال عن شيء إنه سيحدث فلا بد أن يحدث. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م، ٦/ ٣٤٦٩-٣٤٧٠).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. لم يكتفي المستشرقون بما آثاره حول القرآن الكريم من افتراءات سابقة، بل توغلوا بأفكارهم حول الآية الواحدة، والتي تحكي عن أفعال الله تعالى وعن اليوم الآخر، ثم ضربوا بعضها ببعض بغرض اظهار التناقض في الآية الوحدة في القران الكريم ،والغرض من ذلك من وجهة نظرهم أن ذلك يؤدي الى التقليل من قيمة الاعتقاد في إعجاز هذا القرآن الكريم عند المسلمين، ونسي هؤلاء الأبالسة أن القران لا يمكن أن يقع

فيه التناقض والاختلاف لأنه من عند الله تعالى، والله منزه عن كل ما في البشر من تناقض لذلك جاء قوله تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٢. أكد الإمام الشعراوي في معرض رده أن الإنسان يعيش في زمن والله سبحانه لا زمن عنده إنه منزه عن الزمن لأنه خالقه فإذا قال (أتى) فهو في علم الله حدث وأنتهى وتحقق، والمؤمن يعتقد ذلك تماما.

٣. بعد رده على الشبهة مباشرة، استدل لها بمثال من القرآن يبين فيه جميع جوانب الموضوع، حتى يفهم القارئ أساس الموضوع، فيكون ذلك أدعى إلى فهم ضحالة الشبهة.

المبحث الثالث شبهات المستشرقين في باب النبوات ومنهج الشيخ في الرد عليها

النبوة فضل إلهي وهبة ربانية، يهبها الله لمن يشاء من عباده، ويختص لها من يريده من خلقه، وهي بذلك جزء من عقيدة المسلم التي يجب فيها الجزم واليقين ، كيف لا وهي أحد أركان الإيمان الستة.ومن هنا اهتم الشعراوي اهتماما بليغا بمسائل النبوات ومما يبين عنايته الفائقة بها هو عرضه لمسائل هامة متعلقة بالنبوات في تفسيره ، ومما يميز مقالاته في هذا المبحث هو إدراكه مبكراً لخطر المستشرقين وخطر شبهاتهم التي يُلقونها جزافاً ضد الإسلام وضد نبي الإسلام، كما أدرك أهدافهم ودوافعهم ، فعمل على دحضها وكشف زيفها وإبراز صور الإسلام واضحة ناصعة، وبيان مكانة النبي صلى الله عليه وسلم الذي أرسل رحمة للعالمين . فقام بالرد على شبهات المستشرقين ونافح عن الإسلام معتبراً نفسه على ثغر من ثغوره يحرص على أن لا يؤتى من قبله.وسنحاول في هذا المبحث عرض نماذج من شبهات المستشرقين حول النبوة والوحي مع بيان ملامح منهج الشعراوي في رده على تلك الشبهات:

أولا: التشكيك بالوحي . من تخرصات المستشرقين التي رد عليها الشيخ الشعراوي في تفسيره تفسير بعض المستشرقين لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تمنى﴾ (أي قرأ) : ﴿أَلْقَى الشيطان في أُمْنِيَّتِهِ﴾ الحج: ٥٢] (أي في قراءته). وطبعا الشيطان لن يلقي في قراءة الرسول إلا كذبا وافتراء وكفرا. . اقرأ قوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللات والعزى وَمَنَاةَ الثالثة الأخرى أَلَكُمُ الذكر وَلَهُ الأنثى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضيزى﴾ النجم: ١٩ – ٢٢] قال أعداء الإسلام مادام قد ذكر في القرآن أسماء الغرانيق: وهي الأصنام التي كان يعبدها الكفار وقد أطلقوا عليها اسم الغرانيق زعما منهم أن الأصنام ترتفع إلى الله كالطير البيض، فتشفع عنده لعابديها. (محمد الشنقيطي، ١٩٩٥م، ج/٢٨٨). ومنها اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى. إذن فشفاعة هذه الأصنام ترتجى في الآخرة. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م، ١/ ٤١٥).وقد ناقشهم الشعراوي في ادعائهم هذا بقوله : " وهذا كلام لا ينسجم مع منطق الدين كله يدعو لعبادة الله وحده، وخرج المستشرقون من ذلك بأن الدين فعلا يدعو لعبادة الله وحده. . إذن فيكون الشيطان قد ألقى في أمنيته فيما يقوله رسول الله. ثم أحكم الله سبحانه آياته فقال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ الله بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣] هم يريدون بذلك أن يشككوا. . في أنه من الممكن أن يلقي الشيطان بعض أفكاره في قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم. . ولكن الله سبحانه ينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم آياته. إن الله جل جلاله لم يترك وحيه لعبث الشيطان" (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م، ١/ ٤١٥).وقال في معرض رده عليهم : نقول لو أنك تنبهت إلى قول الله تعالى:﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تمنى﴾ [الحج: ٥٢] لو قلنا تمنى بمعنى قرأ، ثم أن الله ينسخ ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته. . إذن هو سبحانه لن يترك رسوله يخطئ. . وبذلك ضمنا أن كل ما ينتهي إليه الرسول صواب. . وأن كل ما وصلنا عن الرسول محكم. . فنطمئن إلى أنه ليس هناك شيء يمكن أن يلقيه الشيطان في تمني الرسول ويصلنا دون أن ينسخ. فإذا قلنا: إن الله ينسخ ما يلقي الشيطان فما الذي جعلكم تعرفون ما ألقاه الشيطان مادام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم لم يقل لكم إلا المحكم. . ثم من هو الرسول؟ بَشَرٌ أُوحِيَ إليه بمنهج من السماء وأمر بتبليغه. . ومن هو النبي؟ . . بشر أوحي إليه بمنهج. ولم يؤمر بتبليغه. . ومادام لم يؤمر بتبليغه يكون خاصا بهذا النبي. . ويكون النبي قدوة سلوكية. . لأنه يطبق منهج الرسول الذي قبله فهو لم يأت بجديد. الآية الكريمة جاءت بكلمتي رسول أو نبي. . إذا كان معنى أمنية الشيطان مستقيما بالنسبة للرسول فهو غير مستقيم بالنسبة للنبي. . لأن النبي لا يقرأ شيئاً، ومادام النبي ذكر في الآية الكريمة فلابد أن يكون للتمني معنى آخر غير القراءة. . لأن النبي لم يأت بكلام يقرؤه على الناس. . فكأنه سيقرأ كلاما محكما ليس فيه أمنية الشيطان أي قراءته. إن التمني لا يأتي بمعنى قراءة الشيطان. . وأمنية الرسول والنبي أن ينجحا في مهمتهما. . فالرسول كمبلغ لمنهج الله، النبي كأسوة سلوكية. . المعنى هنا يختلف. . الرسول أمنيته أن يبلغ منهج الله. . والشيطان يحاول أن ينزع المنهج من قلوب الناس. . هذا هو المعنى. . والله سبحانه وتعالى حين يحكم آياته ينصر الإيمان ليسود منهج الله في الأرض وتنتظم حركة الناس. . هذا هو المعنى. وكلمة تمنى في هذه الآية الكريمة بمعنى أن الرسول أو النبي يحب أن يسود منهجه الأرض. . والشيطان يلقي العراقيل والله يحكم آياته وينصر

الحق. ويجب أن نفهم الآية على هذا المعنى. . وبهذا ينتفي تماما ما يدعيه المستشرقون من أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم حينما كان يقرأ ما يوحى إليه يستطيع الشيطان أن يتدخل ويضع كلاما في الوحي وهذا يستحيل. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،١/ ٤١٥-٤١٦).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. قد أثبت الأكثرية من علماء الحديث والتفسير في القديم والحديث فساد قصة الغرانيق، يقول الامام ابن كثير – رحمه الله – : قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا، ولكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح. (ابن كثير، ١٤١٩، ج٥/٣٨٧). وقال الشوكاني بعد سياقه لهذه القصة: ولم يصح شيء من هذا، ولا ثبت بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه، قال الله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ . لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ الحاقة:٤٤.٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ النجم:٣]، وقوله: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ الاسراء:٧٤]، فنفى المقاربة للركون فضلا عن الركون. (محمد بن علي الشوكاني، ١٤١٤، ج٣/٥٤٦). وأنها نسبت زوراً إلى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الشيطان هو الذي أوحى إلى أوليائه من المشركين بأن النبي عليه الصلاة والسلام قد ذكر أصنامهم بخير في قراءته.

٢. من احتج بثبوتها من المستشرقين وأمثالهم فانه لا يملك دليلاً يقوي احتجاجه على ذلك ؛لأن العلماء الذين تتبعوا الرواية لم يتركوا له مجالا وهم حجة لأنهم أهل التخصص في هذا الفن.

٣. أكد الإمام الشعراوي في معرض رده على المستشرقين إن الشيطان كان يلقي بالوساوس في أسماع الناس لكي يصدهم عن تحقيق أمنية رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ومن هذه الوساوس تلك القصة التي أشاعها المشركون على رسول الله بأنه ذكر آلهتهم بخير. وهو منها– براء–عليه الصلاة والسلام .

٤. إن دليل المستشرقين في اقتباس رسول الله لعقيدته الصافية من عقائد المشركين والزعم بأنه متأثر ببيئته استنادا إلى قصة الغرانيق يكذبه واقع الدليل وآيات الكتاب الحكيم وسيرة سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام في نبذ الشرك ومحاربته بكل صوره.

ثانيا : مطاعن المستشرقين حول زواج النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول الشعراوي: ومن الإشكالات التي أثارها المستشرقون الذين يريدون أن يسيئوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقالوا: إن الزواج كان مطلقاً عند العرب، ثم حدد الله سبحانه وتعالى عدد الزوجات بأربع، وأمر النبي عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام الذين كانوا قد تزوجوا بأكثر من أربع زوجات أن يمسك الواحد منهم أربعاً ويفارق الباقيات، وأضاف المستشرقون تساؤلاً: إذا كان الرسول قد شرع للناس، فلماذا لم يطبق هذا الأمر على نفسه، ولماذا اتخذ تسع زوجات؟ (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،٨/ ٥٠٨٧).وللرد على هذا الزعم قال الشعراوي : ونقول: إننا إذا قمنا بعملية حسابية منصفة، لوجدنا أنه ليست توسعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وإنما هي تضييق عليه، فأنت حين تأخذها من ناحية العدد فقط تقول: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم أخذ تسع زوجات وأمته أخذت أربعاً، ولكنك لم تلاحظ مع العدد المعدود، أي أنه إذا ماتت زوجاتك الأربع أحلت لك أربع أخريات، وإن ماتت واحدة أحلت لك أخرى، إذن فأنت – كمسلم – عندك عدد لا معدود، بحيث إذا طلَّقْتَ واحدة أو اثنتين حلَّت لك زوجة أو زوجتان أخريان، فأنت مُقيَّد بالعدد، ولكن المعدود أنت حُرٌّ فيه. أما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فقد نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿لاَّ يَحِلُّ لَكَ النسآء مِن بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ... ﴾ [الأحزاب: ٥٢] . وهكذا نجد أن التشريع ضَيَّق على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في المعدود. وكان استثناؤه عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام في العدد للتشريع، فقد كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يتزوج بإرادة التشريع التي يشاؤها الله. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،٨/ ٥٠٨٧-٥٠٨٨).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. لم يكتفي المستشرقون المتعصبون بما سبق ذكره من افتراءات في مباحث النبوة ، بل طفقوا بالتحامل والتطاول وايراد الشبهات على شخص صاحب الرسالة على اعتبار أن كل شبهة ترد على شخص الرسول عليه الصلاة والسلام هي شبهة على رسالته ونبوته، كما إن اثارتها جزء من مخطط كبير يهدف إلى عزل الإسلام ورسوله عن حياة المسلمين بخاصة والناس بعامة؛ ليحل بدلاً عن ذلك دين الغرب وإباحيته .

٢. أكد الشعراوي في معرض رده على المستشرقين أن فعله في التعدد كان بإرادة التشريع التي أرادها الله تعالى، فلم يكن بدعاً لا في شرعه ولا بين قومه فشرعه هو شرع الأنبياء من قبله، والأنبياء قبله كانوا يتزوجون ويعددون أما قومه عليه الصلاة والسلام فقد جاءهم وهم يعددون، وعلى ذلك فلا غرابة في تعدده لأزواجه عليه الصلاة والسلام .

أكد الشعراوي في معرض رده أيضا أن النبي عليه الصلاة والسلام لولم يكن أمينا وكان صاحب شهوة ما ضيق على نفسه ولا وقف عند من معه من النسوة ، ولا بلغ أمته بذلك، لكنه بلغ واستجاب أتباعه، فكان الذي عنده تسع يطلق خمساً ويبقي أربعاً ،أما هو عليه الصلاة والسلام فلا يستطيع أن يطلق واحدة ، لأنه كان عنده آنذاك تسع فلوطلق خمسا ما تزوجن أحداً بعده لأنهن أمهات المؤمنين ولا يصح في شريعة الاسلام أن يتزوج المسلم أمه لهذا أبقى عليهن الرسول ولم يطلقهن. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،١٩/ ١١٩٣٩).

ثالثا : مطاعن المستشرقين في شخص النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الشعراوي : وقد وقف المستشرقون عند قوله تعالى في حَقِّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى﴾ [النجم: ٣] يقولون: كيف يحكم الله بأن رسوله لم ينطق عن الهوى، وقد عدَّل له بعض ما نطق به، مثل قوله تعالى: ﴿ياأيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ الله لَكَ﴾ [التحريم: ١] . وقال تعالى: ﴿عَفَا الله عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ﴾ [التوبة: ٤٣] (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،١٧/ ١٠٤٥١).

قال الشعراوي في معرض الرد عليهم : لا بُدَّ أن نُحدِّد مفهوم الهوى أولاً: أنت مدرك أن لديه قضيتين: الحق واضح في إحداهما، إلا أن هواه يميل إلى غير الحق. إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم نطق لأنه لم تكن هناك قضية واقعة، وهو يعرف وجه الحق فيها، فهو إذن لم يَسِرْ على الهوى، إنما على ما انتهى إليه اجتهاده. ألاَ ترى قوله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم في مسألة تبنّيه لزيد بن حارثة ﴿ادعوهم لآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ الله﴾[الأحزاب: ٥] فمعنى أن نسبته لأبيه أقسط أن رسول الله لم يكُنْ جائراً، فما فعله قِسْط، لكن فِعْل الله أقسط منه.

فالحق تبارك وتعالى لم يُخطّيء رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، وسمّى فِعْله عدلاً، وهو عَدْل بشرى يناسب ما كان من تمسُّك زيد برسول الله، وتفضيله له على أهله، فلم يجد رسول الله أفضلَ من أنْ يتبنَّاه مكافأةً له. ثم يقول سبحانه: ﴿أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣] وكيلاً يتولَّى توجيهه، ليترك هواه ويتبع الحق، كما قال سبحانه في موضع آخر: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] وقال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ الناس حتى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] وقال:﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ البلاغ﴾ [الشورى: ٤٨] .فالذي اتبع هواه حتى جعله إلهاً له لا يمكن أنْ تحمله على أنْ يعدل عن هواه؛ لأن الأهواء مختلفة، فالبعض يريد أنْ يتمتع بجهد غيره، فيضع يده في جيوب الآخرين ليسرقهم، لكن أيسرُّه أن يفعل الناسُ معه مثلَ فِعْله معهم؟ إذن: هوى صادمَ هوى، فأيُّهما يغلب؟ يغلب مَنْ يحكم بلا هوى، لا لك ولا عليك، وقضية الحق في ذاتها لا توجد إلا من الله تعالى. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،١٧/١٠٤٥٢– ١٠٤٥٣).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. بعد أن حدد الإمام الشعراوي مفهوم الهوى مباشرة ، أعقبه بالاستدلال بمسألة التبني ليبين فيه جميع جوانب الموضوع ، حتى يفهم القارئ أن معاتبة الله له في بعض ما نطق به عليه الصلاة والسلام لا يخدش في عصمته , ولا يؤثر على شخصيته ، فيكون ذلك أدعى إلى فهم مدى ضحالة هذه الشبهة .

٢. أكد الإمام الشعراوي في معرض رده على هذه الشبهة ، أن ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كان وحيا وتلقيا من الله تعالى ،ولم يكن صادرا عن نفسه وهواه ، لأنه حين طلب من النبي أن يبدل شيء من القران ، أجاب بما أوحى الله اليه ، ولم يخف شيئا منه ولم يخالفه. قال تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [يونس: ١٥]

٣. كما يرد على هؤلاء المستشرقين أن العتاب أو اللين الذي جاء في القران الكريم للرسول صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى ﴿ياأيها النبي لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ الله لَكَ﴾ [التحريم: ١] . وقال تعالى: ﴿عَفَا الله عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَكَ﴾ [التوبة: ٤٣] يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم مبلغ ، وأن ما أوحى به إليه ، كان أمراً خارجيا ، ولو كان نفسيا أو من عنده صلى الله عليه وسلم لكتمه . وما ذكر منه شيئا يتلى على ألسنة الناس. (د. رشدي عليان، د. قحطان الدوري، ت، ص٢٨٥)

٤. وما ذكره المستشرقون هنا هو قول مصحوب بالغباء والافتراء إذ لا توجد آية تؤيد وجود تناقض بين النصوص الكريمة.

رابعا : مطاعن المستشرقين في القرآن الكريم .

موطن الشبهة : عند قوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] يقول المستشرقون: إن الحدث الواحد المنسوب إلى فاعل واحد لا ينفي مرة ويثبت مرة أخرى، فإن نفيته لا تثبته، وإن أثبته لا تنفه، لكن القرآن فيه هذا، وهييء لهم ذلك في قول الحق:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكن الله رمى﴾ [الأنفال: ١٧] .و «ما رميت» هو نَفي «الرمي» ، و «إذ رميت» أثْبت «الرمي» وجاء القرآن بالفعل وهو «رميت» ، والفاعل هو «رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » فكيف يثبت الفعل مرة وينفيه مرة في آية واحدة؟. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،٤/

٢٤٧٣-٢٤٧٤).رد الإمام الشعراوي عليهم : ونقول لهم: لأنكم ليس عندكم ملكة العربية قلتم هذا الكلام، أما من عنده ملكة العربية وهي أصيلة وسليقة وطبيعة وسجية فيه، فقد سمع الآية ولم يقل مثل هذا الكلام، مما يدل على أنه فهم مؤداها.ثم لماذا نبتعد ونقول من أيام الجاهلية، لنأخذ من حياتنا اليومية مثلاً، أنت إذا ما جئت مثلاً لولدك وقلت له: ذاكر لأن الامتحان قد قرب، وأنا جالس معك لأرى هل ستذاكر أو لا. فيأخذ الولد كتابه ويجلس إلى مكتبه وبعد ذلك يفتح الكتاب ويقلب الأوراق ويهز رأسه. وبعد مدة تقول له: تعال انظر ماذا ذاكرت. فتمسك الكتاب وتسأله سؤالين فيما ذاكر. . فلا يجيب، فتقول له: ذاكرت وما ذاكرت. أي أنك فعلت شكلية المذاكرة، ولا حصيلة لك في موضوع المذاكرة.قولك: «ذاكرت» هو إثبات للفعل، وقولك: «وما ذاكرت» هو نفي للفعل. فإذا جاء فعل من فاعل واحد مثبت مرة ومنفي مرة من كلام البليغ. فاعلم أن جهة الإثبات غير جهة النفي.وقوله الحق: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ فكأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما جاء إلى المعركة أخذ حفنة من الحصى، وجاء ورمي بها جيش العدو.إذن فالعملية الشكلية قام بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ، لكن أَلِرَسول الله قدرة أن يُرسل الحصى إلى كل جيش العدو؟! إن هذه ليست في طاقته، فقول الحق:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ولكن الله رمى﴾ . أنت أخذت شكلية الرمي، أما موضوعية الرمي فهي لله سبحانه وتعالى. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،٤/ ٢٤٧٣-٢٤٧٤).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. أكد الإمام الشعراوي في معرض رده على هذه الشبهة ، أنه ليس هناك تناقض ولا تضارب بل هناك عدم فهم أو عدم تمرس على اللسان العربي لذا جاء العرض الاستشراقي بغير سليقة العربي ذي الملكة الذي يفهم الأسلوب ويفهم مراميه.

٢. ان ما ذكره المستشرقون في هذه الشبهة عبارة عن أباطيل وافتراءات ، وأن أصحابها بعيدون عن فهم بلاغة ودقة التعبير القرآني والتي تجعل اللفظ والمعنى منسجمين تماماً لا يبتعدان بعضهما عن بعض ولا يؤديان إلا نفس المعنى المقصود بالنسبة لمقتضيات الحال.

٣. ظهر جليا من مناقشات الإمام الشعراوي وردوده السالفة الذكر ، أن مناهج المستشرقين لم ولن تثبت أمام النقد البناء لخلوها من البراهين والأدلة الصحيحة ،وتعتمد الكذب والافتراء على القرآن وعلومه .

٤. امتاز منهج الامام الشعراوي في رده على هذه الشبهة باليسر والسهولة، وحاول تقريب المعلومة للمستمع عن طريق ضرب الأمثلة من الواقع ،وتبسيط اللغة .

المبحث الرابع شبهات المستشرقين في باب السمعيات ومنهج الشيخ في الرد عليها .

إن مباحث السمعيات والتي سميت بهذا الاسم "لأنه لا طريق لمعرفتها إلا الكتاب والسنة: والأصل في وصولهما إلينا السماع فقط أو مع القراءة. فلا دخل للعقل في الوصول إلى ما يذكر في هذا القسم ويجب الإيمان به كالملائكة والجن والأرواح واليوم الآخر والجنة والنار إلا بالفهم عن الكتاب والسنة الصحيحة"، (حسن محمد أيوب، ١٩٨٣م، ص١٧٨)، من مواضيع العقيدة المتعلقة بالإيمان باليوم الآخر التي يجب علينا الإيمان بها ومعرفتها ؛ ولهذا جاء اعتناء أهل العلم واهتمامهم بهذه المباحث، ومن بين الذين اعتنوا بهذه المباحث الإمام الشعراوي رحمه الله في تفسيره.رغم صحة الأخبار في مباحث السمعيات إلا إن بعض المستشرقين لم يرتضوا ذلك بدعاوى شتى، وقد انبرى الإمام الشعراوي للرد على هذه الدعاوى في تفسيره، فعمل على دحض الشبهات المثارة حول مباحث السمعيات، وكشف زيفها ، وأبرز صورة الإسلام واضحة ناصعة. وسنحاول في هذا المبحث عرض نماذج من شبهات المستشرقين حول مباحث السمعيات مع بيان ملامح منهج الشعراوي في رده على تلك الدعاوى:

أولا : مطاعن المستشرقين بالسؤال يوم الحساب .

قال الشعراوي عند قوله تعالى :﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦] ، ومسألة السؤال وردت في القرآن بأساليب ظاهر أمرها أنها متعارضة، والحقيقة أن جهاتها منفكة. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،٧/ ٤٠٤٦).وهذا ما جعل خصوم القرآن يدعون أن القرآن فيه تضارب. فالحق سبحانه يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصور فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١] ويقول سبحانه أيضاً ﴿وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ [المعارج: ١٠] ويقول جل وعلا: ﴿وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ المجرمون﴾ [القصص: ٧٨] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] ثم يقول هنا: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الذين أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ المرسلين﴾ [الأعراف: ٦]وهذا ما يجعل بعض المستشرقين يندفعون إلى محاولة إظهار أن بالقرآن – والعياذ بالله – متناقضات. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،٧/ ٤٠٤٦-٤٠٤٧).

رد الإمام الشعراوي عليهم : ونقول لكل منهم: أنت تأخذ القرآن بغير ملكة البيان في اللغة، ولو أنك نظرت إلى أن القرآن قد استقبله قوم لسانهم عربي، وهم باقون على كفرهم فلا يمكن أن يقال إنهم كانوا يجاملون، ولو أنهم وجدوا هذا التناقض، أما كانوا يستطيعون أن يردوا دعوى

محمد فيقولوا: أيكون القرآن معجزا وهو متعارض؟! لكن الكفار لم يقولوها، مما يدل على أن ملكاتهم استقبلت القرآن بما يريده قائل القرآن. وفي أعرافنا نورد السؤال مرتين؛ فمرة يسأل التلميذ أستاذه ليعلم، ومرة يسأل الأستاذ تلميذه ليقرر إذن فالسؤال يأتي لشيئين اثنين: إما أن تسأل لتتعلم، وهذا هو الاستفهام، وإما أن تسأل لتقرر حتى تصبح الحجة ألزم للمسئول، فإذا كان الله سيسأله، أي يسأله سؤال إقرار ليكون أبلغ في الاحتجاج عليه، وبعد ذلك يقولون: ﴿وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السعير فاعترفوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السعير﴾ [الملك: ١٠ – ١١] وهذا اعتراف وإقرار منهم وهما سيدا الأدلة؛ لأن كلام المقابل إنما يكون شهادة، ولكن كلام المقر هو إقرار اعتراف.إذن إذا ورد إثبات السؤال فإنه سؤال التقرير من الله لتكون شهادة منهم على أنفسهم، وهذا دليل أبلغ للحجة وقطع للسبل على الإنكار. فإما أن يقر الإنسان، وإن لم يقر فستقول أبعاضه؛ لأن الإرادة انفكت عنها، ولم يعد للإنسان قهر عليها، مصداقاً لقوله الحق: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قالوا أَنطَقَنَا الله الذي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] والحق هنا يقول: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الذين أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ المرسلين﴾. وهو سؤال للإقرار. قال الله عنه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ الله الرسل فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ﴾[المائدة: ١٠٩] وحين يسأل الحق المرسلين، وهم قد أدوا رسالتهم فيكون ذلك تقريعاً للمرسَل إليهم. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،٧/ ٤٠٤٧–٤٠٤٨).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. أكد الإمام الشعراوي في معرض رده على هذه الشبهة أنه لا يجد أي تناقض أو تضارب بين الآيات القرآنية ، بل يجد جهلا بمعاني اللغة وعدم فهم لدقة اللفظ في القرآن الكريم.

٢. إن ما سطره الإمام الشعراوي في رده على هذه الشبهة لهؤلاء المستشرقين ومنهجيتهم في البحث، حيال القرآن وقضاياه ، من افتراءات وأكاذيب ، دفعه للرد عليها وتبيان زيفها ، لكي يتبين في وضوح أن نتاجهم في حاجة إلى تمحيص وتصفية .

٣. ومن الردود التي ذكرها صاحب اضواء البيان أيضا أن السؤال المنفي في الآيات المذكورة، أخص من السؤال المثبت فيها ; لأن السؤال المنفي فيها مقيد بكونه سؤالا عن ذنوب خاصة، فإنه قال: ﴿وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ المجرمون﴾ [القصص: ٧٨] فخصه بكونه عن الذنوب، وقال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩] فخصه بذلك أيضا، فيتضح من ذلك أن سؤال الرسل والموءودة مثلا ليس عن ذنب فعلوه فلا مانع من وقوعه ; لأن المنفي خصوص السؤال عن ذنب، ويزيد ذلك إيضاحا قوله تعالى: ﴿ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٨]، والسؤال عن الذنوب المنفي في الآيات: المراد به سؤال الاستخبار والاستعلام ; لأنه جل وعلا محيط علمه بكل شيء، ولا ينافي نفي هذا النوع من السؤال ثبوت نوع آخر منه هو سؤال التوبيخ والتقريع ; لأنه نوع من أنواع العذاب، ويدل لهذا أن سؤال الله للكفار في القرآن كله توبيخ وتقريع كقوله: وقفوهم إنهم مسئولون ما لكم لا تناصرون. (محمد الشنقيطي، ١٩٩٥م، ج٢/٧).

ثانيا : مطاعن المستشرقين بالجنة والنار .عرض الامام الشعراوي موطن الشبهة عند قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا الذين شَقُواْ فَفِي النار لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السموات والأرض إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الذين سُعِدُواْ فَفِي الجنة خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السموات والأرض إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٦ – ١٠٨] فقال : ثار الحديث بين المستشرقين: كيف يقول الحق سبحانه وتعالى عن النار والجنة خالدين فيها أبداً؟ ثم يأتي في هذه الآيات ويستثنى ويقول: ﴿إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ والاستثناء وارد على المؤمن والكافر؟. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،٩/ ٥٢٧١).

رد الإمام الشعراوي عليهم:إن الذين يثيرون هذا الاعتراض لم يفهموا القرآن ولا المنهج، فالذين سيدخلون النار قسمان: قسم آمن ولكنه عصى وارتكب سيئات؛ فُيعذَّب في النار على قَدْر سيئاته، ثم يُخرجه الله من النار إلى الجنة لأنه مؤمن، وقسم آخر كافر أو منافق، الاثنان يدخلان النار، ولكن أولهما – وهو المؤمن – يُعذِّب على قَدْر سيئاته. والثاني يبقى خالداً فيها لأنه كفر أو نافق.إذن: فالمؤمن العاصي لا يخلد في النار؛ ولذلك قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ لأنه لن يبقى في النار إلا بقدر سيئاته، فكأن خلوده في النار من البداية مؤقت وهو لا يبقى خالداً فيها؛ لأن مشيئة الله سبحانه وتعالى تدركه، فتخرجه من النار إلى الجنة.أما الكافر والمنافق فهما خالدان في النار لا يخرجان منها، فكأن هناك من يدخل النار ولا يكون خلوده فيها أبدياً، وهذا هو المؤمن العاصي. وهناك من يدخل النار ويخلد فيها أبداً، وهذا هو الكافر أو المنافق. وإذا جئنا إلى الجنة، فهناك من سيدخل فيها خالداً أبداً؛ أي منذ انتهاء الحساب إلى ما لا نهاية. وهذا هو المؤمن الذي غلبت حسناته سيئاته وأدخله الحق الجنة. ولكن هناك من سيدخل الجنة، ولكن خلوده فيها يكون ناقصاً وهو المؤمن العاصي؛ لأنه يدخل النار أولاً ليجازي بمعاصيه.

إذن: فالمؤمن العاصي خلوده في النار ناقص؛ لأنه لن يبقى فيها أبداً. وكذلك يفتقد الخلود في الجنة فور انتهاء لحظة الحساب؛ لأنه لن يدخل فيها بعد الحساب مباشرة، بل سيدخل النار أولاً بقدر معاصيه. فقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ ينطبق على عصاة المؤمنين الذين سيأخذون حظهم من العذاب أولاً على قدر سيئاتهم، ثم بعد ذلك يدخلون الجنة. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،٩/ ٥٢٧١-٥٢٧٢).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. اعتنى الإمام الشعراوي في معرض رده على هذه الشبهة عناية فائقة بتبيان معنى الاستثناء في آيتي هود ، من خلال سرد رأيه في هذه المسألة العقدية.

٢. ذكر الأمام الشعراوي أن المستثنى في الآيتين هم أهل التوحيد ، فإن المستقر عند أهل السنة والجماعة أن أهل الكبائر من الموحدين لا يخلدون في النار، بل يخرجون بتوحيدهم ولو بعد حين ولقد قال بهذا القول عدد غفير من المفسرين. (القرطبي، ٢٠٠٣م، ٩/٩٩ ـ ابن كثير، ١٤١٩هـ، ٤/٣٠٢).

٣. أقتصر الإمام الشعراوي في معرض رده على هذه الشبهة بذكر معنى واحد في الاستثناء في الآية السابقة ﴿إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ وقد أختلف السلف –رحمه الله– في هذا الاستثناء : فقيل: فقيل: معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم. وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف. وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف. وقيل: هو استثناء استثناه الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه... وقيل: الاستثناء لإعلامهم، بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لا أنهم يخرجون عن مشيئته تعالى ..وقيل غير ذلك. (ابن أبي العز الأذرعي، ١٩٩٧م، ٢/٦٢٣)

ثالثا : مطاعن المستشرقين في حمل الأوزار يوم القيامة . عرض الإمام الشعراوي موطن الشبهة عند قوله تعالى ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى﴾[الإسراء: ١٥] فقال : وحول هذه القضية تحدَّث كثير من المستشرقين الذين يبحثون في القرآن عن مأخذ، فوقفوا عند هذه الآية: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى﴾[الإسراء: ١٥] وقالوا: كيف نُوفِّق بينها وبين قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[العنكبوت: ١٣] وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ القيامة وَمِنْ أَوْزَارِ الذين يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،١٤/ ٨٤١٧).

رد الإمام الشعراوي عليهم : ونقول: التوفيق بين الآية الأولى والآيتين الأخيرتين هيِّن لو فهموا الفرق بين الوِزْر في الآية الأولى، والوِزْر في الآيتين الأخيرتين.ففي الأولى وزر ذاتيٌّ خاص بالإنسان نفسه، حيث ضَلَّ هو في نفسه، فيجب أنْ يتحمّل وِزْر ضلاله. أما في الآية الثانية فقد أضلَّ غيره، فتحمَّل وِزْره الخاص به، وتحمَّل وِزْر مَنْ أضلَّهم.ويُوضِّح لنا هذه القضية الحديث النبوي الشريف: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء». (مسلم بن الحجاج، د.ت، برقم(١٠١٧) (٢/ ٧٠٥)، (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،١٤/ ٨٤١٧-٨٤١٨).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. أكد الإمام الشعراوي في معرض رده على المستشرقين إن المسلم المتدبر لكلام الله يعلم من خلال معرفته باللغة أنه لا يوجد ثمة تضارب في الآيات الكريمة ذلك لأن الآية في سورة الاسراء تبين حكم الله وعدله بين الناس يوم القيامة، وتقرر أن النفوس بأعمالها تجازى إن خيرا فخير وأن شرا فشراً ولا يكمن لأحد أن يحمل خطيئة أحد قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] أي معتقلة بعملها يوم القيامة. (ابن كثير، ١٤١٩هـ، ٨/ ٢٨١). ثم تأتي الآيتين من سورتي العنكبوت والنحل لتوسع مدارك الأفهام أكثر ،وتنبه الى أن الضال لو نقل ضلاله الى آخر واتبعه هذا الاخر فانه سيحمل وزر ضلاله هو ، ثم ضلال من أضله وعلى هذا الأمر أكدت سورة العنكبوت قائلة ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾[العنكبوت: ١٣] أي أوزارهم التي عملوها، والتعبير عنها بالأثقال –كما قال الشوكاني–للإيذان بأنها ذنوب عظيمة وأثقالا مع أثقالهم أي: أوزارا مع أوزارهم. وهي أوزار من أضلوهم، وأخرجوهم عن الهدى إلى الضلالة. (محمد بن علي الشوكاني، ١٤١٤، ج٤/٢٢٥).

٢. إن كتاب الله أجلُّ وأعظم من أن يتضمن تعارضاً بين آياته؛ إذ هو من عند الله سبحانه،﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢]. وما يبدو من تعارض بين آياته كما يزعم المستشرقون إنما مرده لمحدودية عقل الإنسان فحسب، وواقع الأمر ألا تعارض.

٣. بين الأمام الشعراوي أن الأصل بخصوص الحساب والعقاب ليس على إطلاقه، وإنما هو مقيد بحيث لا يكون لفعل الإنسان أثر على غيره، فإن كان ذلك كذلك كان مشتركاً في الحساب والعقاب، من جهة أنه كان سبباً. فوضح بهذا التقرير ألا تعارض حقيقي بين تلك الآيات.

رابعا : مطاعن المستشرقين في الحشر . عرض الامام الشعراوي موطن الشبهة عند قوله تعالى : ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القيامة على وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] فقال :وهنا أيضاً اعتراض لبعض المستشرقين ومَنْ يُجارونهم مِمَّنْ أسلموا بألسنتهم، ولم تطمئن قلوبهم لنور الله، يقولون: القرآن يقول: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القيامة على وُجُوهِهِمْ عُمْياً﴾ [الإسراء: ٩٧] فينفي عنهم الرؤية، وفي آيات أخرى يقول: ﴿حتى إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾[مريم: ٧٥] ﴿وَرَأَى المجرمون النار فظنوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾[الكهف: ٥٣] فأثبت لهم الرؤية، فكيف نجمع بين هذه الآيات؟. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،١٤/ ٨٧٦١).

رد الإمام الشعراوي عليهم: والمتأمل في حال هؤلاء المعذَّبين في موقف البعث يجد أن العمى كان ساعة البعث، حيث قاموا من قبورهم عُمْياً لِيتحققَ لهم الإذلال والحيرة والارتباك، ثم بعد ذلك يعودون إلى توازنهم ويعود إليهم بصرهم ليشاهدوا به ألوان العذاب الخاصة بهم، وهكذا جمع الله عليهم الذل في الحاليْن: حال العمى وحال البصر. لذلك يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هذا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ اليوم حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]. (محمد متولي الشعراوي، ١٩٩٧م،١٤/ ٨٧٦١).

المناقشة : مما سبق يتبين لنا الآتي :

١. أكد الإمام الشعراوي في معرض رده على هذه الشبهة أنه ليس في نصوص الوحي ما يناقض بعضه بعضاً ، فوضع الأمور في نصابها وبيَّن للمستشرقين ما أغلق فهمه عليهم .

٢. وقد ذكر الإمام الشعراوي هنا وجه واحدا ،وهو ما استظهره أبو حيان من كون المراد مما ذكر حقيقته ، ويكون ذلك في مبدأ الأمر ، ثم يرد الله تعالى إليهم أبصارهم ونطقهم وسمعهم ، فيرون النار ويسمعون زفيرها ، وينطقون بما حكى الله تعالى عنهم في غير موضع .

٤. وقد ذكر صاحب أضواء البيان أوجه أخرى منها : أنهم لا يرون شيئا يسرهم، ولا يسمعون كذلك، ولا ينطقون بحجة، كما أنهم كانوا في الدنيا لا يستبصرون، ولا ينطقون بالحق، ولا يسمعونه. ومنها أن الله إذا قال لهم: ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]وقع بهم ذلك العمى، والصمم، والبكم من شدة الكرب، واليأس من الفرج، قال تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ [النمل: ٨٥]. (محمد الشنقيطي، ١٩٩٥م، ٤/ ١٢٨-١٢٩).

خاتمة وأهم النتائج

فيما يلي نضع بين يدي القارئ الخطوط العامة لمنهج الإمام الشعراوي في رده على شبهات المستشرقين في ضوء تفسيره ، المستخلصة من البحث:

١. عرض الإمام الشعراوي في تفسيره مباحث العقيدة (الإلهيات ، النبوات، السمعيات) نقية ناصعة ، وعرضه هذا كان أقوى رد على شبهات المستشرقين المتناثرة حول مباحث العقيدة، وعلى ما أثاروه من زوابع يريدون من خلالها تشويه عقيدة المسلمين ، تمهيداً لضرب الإسلام.

٢. الاستشراق حلقة في سلسلة تحيط بالإسلام وتكيد بأهله.

٣. كان الإمام الشعراوي جريئا في تفسيرهِ في رده على شبهات المستشرقين، ولم يخف في الله لومة لائم، لم يخف إلا الله تعالى، وكما نعلم كان العالم الإسلامي آنذاك مسرحا لهؤلاء المستشرقين يسرحون فيه ويمرحون، ويقولون ما يشاؤون، وكان المسلمون منقسمين على أنفسهم فرقاً وجماعات، ومشغولون بأنفسهم، وجرأته هذه جعلته يدخل في كل المجالات ويقتحم كل الأبواب، ويناقش كل القضايا في تفسيره، دون خوف أو وجل من أحد فاتحاً باب الاجتهاد ومستخدماً للعقل وطرق البحث العلمي الحديثة في مجالات الدين واصول العقيدة.

٤. يمتاز منهج الامام الشعراوي في رده على المستشرقين باليسر والسهولة، ويحاول تقريب المعلومة للمستمع عن طريق ضرب الأمثلة، وتبسيط اللغة .

٥. شبهات المستشرقين في مباحث العقيدة لم تتعد ما أثاره المشركون من قبل وما أثاره أعداء القرآن والسنة، وكل ما زاد أنهم يحاولون إلباسها ثوب العلم.

٦. كان الإمام الشعراوي مؤدبا جداً في رده على المستشرقين ، فكان ينقل أقوالهم بدقة وأمانة، دون أن يضيف إليها شيئا من عنده أو أن يحذف منها شيئا.

٧. كانت ردوده على شبهات المستشرقين في مباحث العقيدة قوية وواضحة، وكانت مبنية على الأدلة النقلية والعقلية. وكان يفرد لها صفحات كثيرة، ويناقشها مناقشة علمية مفصلة، لذا أرتينا جمع هذه الردود والآراء القيمة من تفسيره في هذا البحث حتى تعم الفائدة،.

كثيرا ما يلجأ الإمام الشعراوي إلى التفصيل في رده على هذه الشبهات المثارة في مباحث العقيدة، ويفرد لها صفحات كثيرة، لأن بعض الشبهات العقدية مازالت تشوش على المسلمين وتغرر بهم، كان يغطي كل جوانب الشبهة، ويوضح زيفها وكذبها، حتى ويقوي إيمان القارئ بعقيدته ودينه، ويجعله يقتنع أنه على الحق.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، – ١٤١٩هـ.

٢. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، نشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣م.

٣. امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، ديوان امرِئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ

٤. حسن محمد أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية ، دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، ط٥، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٥. خليل عبد الكريم، إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، نشر: الانتشار العربي، ط١، ٢٠٠٦م.

٦. خليل عبد الكريم، الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، سينا للنشر، ط١، لقاهرة، ١٩٩٠م.

٧. رشدي محمد عليان، قحطان عبد الرحمن الدوري، اصول الدين الاسلامي، جامعة بغداد، كلية العلوم الاسلامية ط٤، ١٤١١هـ _ ١٩٩٠م.

٨. سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، شرح المقاصد، تحقيق: د.عبد الرحمن عميرة تصدير : الشيخ صالح موسى شرف، دار عالم الكتب، ط١، لبنان ١٤١٩هجري ١٩٩٨

٩. صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
ط١٠، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

١٠. عبد الرحمن البدوي، مناهج البحث العلمي، نشر: وكالة المطبوعات، ط٢، ١٩٧٧م.

١١. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، لقاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

١٢. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، نشر: دار الدعوة.

١٣. محمد أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، نشر مركز الانماء القومي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

١٤. محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي ضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، نشر : دار الفكر للطباعة و النشر، بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

١٥. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة "مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي"، ط١،١٤٢٢هـ.

١٦. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، نشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، – ١٤١٤هـ.

١٧. محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، نشر: دار صادر، بيروت، ط٣، – ١٤١٤هـ.

١٨. محمد زايد، مذكرات إمام الدعاة، نشر دار الشروق، ط٣، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٩. محمد شحرور، الكتاب والقرآن، نشر: الأهلي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق.

٢٠. محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، (ت ١٤٠٤ هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، نشر: دار الحديث، القاهرة.

٢١. محمد فوزي، الشيخ الشعراوي الحكمة الالهية للمرض والشفاء، نشر دار هاتييه، القاهرة.

٢٢. محمد فوزي، الشيخ الشعراوي وقضايا اسلامية حائرة تبحث عن حلول، نشر دار هاتييه، القاهرة.

٢٣. محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، نشر: مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م.

٢٤. مقدم محمد، منهج الشعراوي في تفسير القرآن الكريم، اطروحة دكتوراه، اشراف د. زعراط امحمد، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة سانيا وهران، الجزائر.

٢٥. محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، نشر: دار المعارف، القاهرة.

٢٦. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت